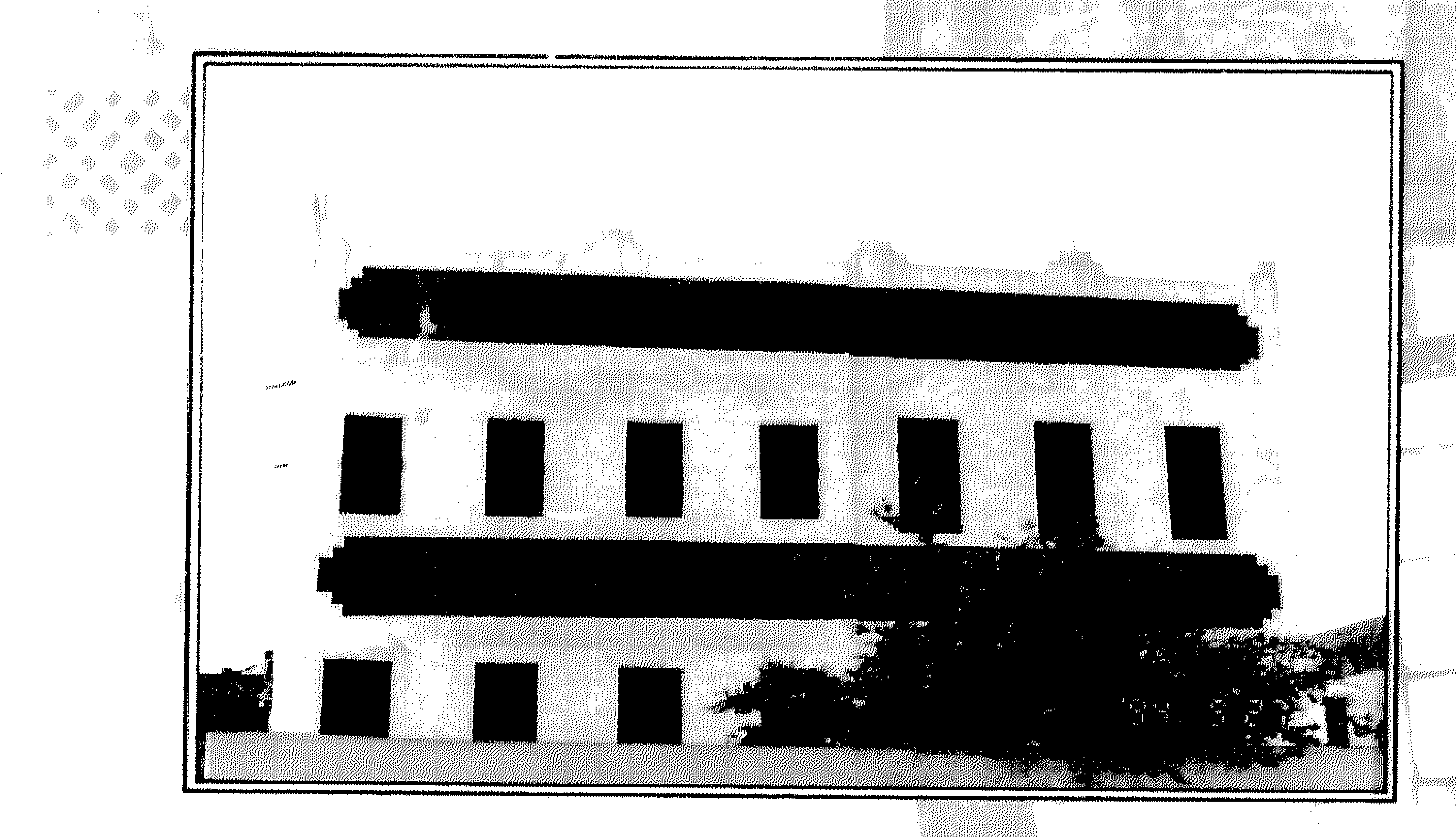
البيوت القديمة

في محافظة ظفار



خالد بن أحمد العليان

البيوت القديمة
في محافظة ظفار

خالد بن أحمد العليان

إهداء

إلى المقام السامي لحضرة صاحب الجلالة
السلطان قابوس بن سعيد - حفظه الله تعالى وأبقاه
ثمرة من ثمار عناية جلالته السامية بتراثنا
العماني ولبنة من لبنات احتفالنا بعام التراث

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

وبعد

منذ فترة طويلة وأنا أفكر في إعداد هذا الكتيب البسيط عن البيوت القديمة في محافظة ظفار، وجاءت المناسبة بتوجيهات حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ـ حفظه الله ـ بتخصيص عام ١٩٩٤م عاماً للتراث، وكانت فرصة طيبة لي فاغتنمتها، وبدأت في جمع المعلومات اللازمة لهذا الموضوع من مصادر شتى لإعداد هذا الكتيب.

وفى اعتقادى أن ما يحويه هذا الكتيب من معلومات عن البيوت القديمة في ظفار، سيعطي القارىء الكريم فكرة عن مدى التقدم الذي وصل إليه أجدادنا في مجال العمارة في تلك الفترة من الزمن.

وقد تركز الحديث في هذا الكتيب على البيت العماني القديم الذي يمثل الجانب الأهم والأكبر من المباني القديمة، التي تضم علاوة على المساكن نوعيات أخرى من العمارة الحربية، والتي تتمثل في القلاع والحصون والأسوار، والعمارة الدينية وتتمثل في المساجد وغيرها والتى وصفت عمارتها بكونها إسلامية.

ظهر الدين الإسلامي في شبه الجزيرة العربية، وكانت هذه الأرض الصحراويـة الشاسعة وقت مـولد النبي ﷺ عـام ٥٧٠م تقع بجوار امبراطوريتين عـريقتين هما الإمبراطوريـة الفارسيـة والإمبراطوريـة الرومانيـة، وكان حال سكان الجزيـرة العربية من الفرقـة والتناحر والصراع الدائم فيما بينهم، وكانت الوثنية هي عقيدتهم التي يدينون بها بينما كانت هناك قلة تعتنق الديانات السماوية، فاليهود في المدينة وحولها، والمسيحيون في نجران، وعلى أطراف الإمبراطورية الرومانية ولم يكن بالجزيرة ما يمكن أن نطلـق عليه فن العمارة ومايرتبط بها من صناعـات وفنون أخرى، بل كانت البيـوت في شبه الجزيرة على درجـة كبيرة من البساطـة في بعض الأمـاكن التي استقر بها النـاس وعلى الأخص بمكة حيث البيت العتيق والمدينة، وإن كانت أكثر تطورا ووضوحا في اليمن وعلى الحدود السورية.

وقد تمكن سيدنا محمد ﷺ في فترة وجيـزة من هجرته إلى المدينة عام ٦١٠م من السيـادة على بلاد الحجـاز بعد أن وحـد أهلها ونشر الـدين الإسلامي بينهم بـروحـه السمحة وقيمـه السـامية، وتكـون مجتمع متماسك لأول مـرة في شبـه جـزيـرة العـرب هـو المجتمع الإسـلامي، وبعد وفـاة النبي ﷺ في ١٠/هـ/ ٦٣٢م تـولى خلافـة المسلمين أبو بكر الصديق صهره ورفيقه وهو أول الخلفاء الراشدين، وتم في عهده اخضاع شبه الجزيرة العـربية كلها للإسلام وأصبحت عاصمة الدولة هي المدينة.

ساعـد وقوع الجزيـرة العربيـة بين شواطىء البحـر الأحمر من ناحية، وشـواطىء المحيط الهندى والخليج العربى من نـاحية أخرى

على رواج التجارة بين أهل الجزيرة، واتصلت قوافلهم بالشرق والغرب، وكان لموقف سلطنة عُمان الفريد دوراً حيويا في هذا الاتصال، ونتيجة لذلك حدث شكل من التفاعل بين المسلمين في شتى المجالات وبين الحضارات في العالم وقتها. وكان نتيجة هذا التفاعل مصطلح جديد أطلق عليه «إسلامى» إصطبغت به كافة الأنشطة البشرية في العالم الإسلامي، وامتد تأثيره في نواح عديدة إلى ما وراء العالم الإسلامي نفسه، وكان العمران سواء في تخطيط المدن أو وحدتها أحد هذه المجالات التي أخرجت لنا في النهاية مايطلق عليه الباحثون المدينة الإسلامية والبيت الإسلامي.

وقد رأيت أنه من الأفضل التعرض ولو في عجالة للمدينة الإسلامية والبيت الإسلامي، ومن ثم الحديث بشكل عام عن البيت القديم في ظفار، مما سيعطي فكرة واضحة عن صبغة هذا البيت بالمصطلح «الإسلامي» ثم الحديث بشكل مفصل عن البيت القديم في ظفار من نواحيه المختلفة.

ونرجوا أن يكون جهدنا المتواضع جزءا من بحث أكبر وأشمل عن المباني القديمة في ظفار وسائر مناطق السلطنة في الوقت الحاضر الذي تقوم فيه الدولة الرشيدة ممثلة في وزارة التراث القومي والثقافة الموقرة بالحفاظ على هذا التراث العريق الذي صنعه أجدادنا سواء بالدراسة أو بترميم القلاع والحصون وتجديدها ليبق هذا التراث أثرا تعتز به الأجيال الحاضرة والقادمة بناء على التوجيهات السديدة والرعاية الدائمة، لمولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ـ حفظه الله

والله ولى التوفيق

مدخل

من المؤكد أن العمارة أو مايسمى الفضاء المحصور أقدم وأهم الأنشطة التى مارسها الإنسان منذ وجوده على الأرض، وهي إنعكاس حقيقى لأساليب وحياة الناس الشخصية والعامة ومدى رقيهم وترتبط بعوامل إجتماعية وإقتصادية وبيئية، وهي عمل يرتبط بالعديد من الصناعات والمهن ويشترك في إبداعه العديد من الصناع والمهنيين وربما بعض الفنانين.

وقد تميزت العمارة الإسلامية بميزات خاصة ظهرت واضحة في المدن بالأقطار الإسلامية ومنها مدن محافظة ظفار وأهمها صلالة وطاقة ومرباط وسدح ورخيوت وضلكوت. وحسب مصادر الرواة من شيوخ المنطقة، فإن هذه المباني ترجع في بنائها إلى فترة تاريخية تمتد من مائة إلى ثلاثمائة سنه، أما قبل هذه الفترة فما بقي منها قليل من المباني المهدمة، والتي تحولت إلى أطلال متناثرة على طول الساحل بالمنطقة، والتي بني بعضها في العصر الإسلامي مثل مدينة البليد التاريخية وبني البعض قبل الإسلام مثل ميناء سمهرام الذي ذاعت شهرته في القرن الثانى قبل الميلاد.

كما قلنا فإن هناك ميزات خاصة للبيت الإسلامي وبالتالي للمدينة الإسلامية، وهي نفس الميزات التي انطبعت على البيت العمانى في ظفار وعلى هذا فسنقدم في عجالة سريعة بعض سمات العمارة الإسلامية (البيوت) والمدينة الإسلامية، مما سيعطي صورة أوضح لتميز البيت العماني في ظفار أو عمارة ظفار.

بعض سمات المدينة الإسلامية

تأثرت المدينة الإسلامية بطابع الإسلام وما يحمله من فقه وتشريع، ومطالعة واجهات المدينة الإسلامية يعكس الواقع الإجتماعي لأصحابه ويحدد لنا نوعية الطريق واتساعه ومظلات المباني ومشربياتها وما قد يخرج من جدرانها من ميازيب وما يوجد بها من عناصر معمارية أخرى، تحدد ارتباط إنشائها وشكلها وتوزيعها بقواعد فقهية محددة تجعلنا نقر بمواصفات المجتمع الذي يقطن أو يستغل هذه المباني.

كان للأحكام التي شرحتها مصادر التراث الإسلامي في عصوره المتعاقبة دورها في إستقرار الهيئة الإجتماعية للمدينة الإسلامية وإقرار المبادىء الإسلامية وتأصيلها بقيم المجتمع حتى أصبحت عرفا عاما، وأصبحت سلوكا عاما في تطبيقها أدى إلى شيوع الصفة الإسلامية على التكوينات المعمارية للمدينة من جهة وعلى سلوك أفراد المجتمع بالمدينة من جهة اخرى ومن الأحكام السابق ذكرها إنطلاقا من مبدأ : لا ضرر ولا ضرار وفي سبيل عدم الإضرار بالغير، من هذه الأحكام : الجدار المشترك حق المرور والأرتقاء والبيع وغير ذلك مما يتعلق بالشوارع الخاصة (١) تؤكد كتب التراث ما وصل إليه العلماء المسلمون من مستوى فكري متقدم في مجال العمران حيث تعرض لكل من المبادىء العامة والجزئيات التطبيقية في نفس الوقت ومن مصادر الحديث عن العمارة وتخطيط المدن على سبيل المثال وليس الحصر (٢) .

(١) محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية.
(٢) مصطفى الموسوي: العوامل التاريخية.

كتاب العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال، وكتاب الأحكام السلطانية للماوردي، والسياسة لابن حزم، والشهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان، ومقدمة ابن خلدون، وكتاب السلك في طبائع الملك لابن الأزرق.

ومن الكتب التي اختصت بمسائل البنيان كتاب الاعلان بأحكام البنيان لابن الرامي وكتاب الجدار لعيسى بن موسى التطيلي.

المصادر السابقة وغيرها تكشف عن بعض جوانب الفكر الإسلامي التي ترسم السياسة والإطار الشامل للحكام المسلمين والقائمين على تخطيط المدن الإسلامية وتحدد القواعد والأحكام التي يجب أن تتبع في إنشاء المباني وعمارتها وبعض المصادر توجه العامه، لترقى بهم الى درجة الكمال في السلوك الإجتماعي، وتشرح الآداب العامة المتعلقة بجميع نواحي الحياة في ضوء الكتاب والسنة كما تعكس إستفادة الفكر الإسلامي من خبرات الأمم السابقة، فقد رسخ في الفكر الإسلامي منهج الرومان أن أصلح مواضع البناء أن يكون على تل وبحيث تدخله الشمس عند شروقها، وقد ذكر اليعقوبي أن الملوك الماضية لما أرادوا بناء المدن أخذوا آراء الحكماء في ذلك فاختاروا أفضل ناحية في البلاد وأفضل مكان في الناحية وأعلى منزل في المكان من السواحل والجبال ومهب الرياح لأنها تفيد صحة أبدان أهلها وحسن أمزجتها واحترزوا من الآجام والجزائر وأعماق الأرض فإنها تورث هما وكربا.

بعض سمات البيت الإسلامي

إنطلاقا من مبدأ لا ضرر ولا ضرار تأتي ظاهرة الخصوصية التي أثرت تـأثيرا واضحا في الحيـاة الإجتماعية[1] في المدينة الإسـلامية وبالتـالي في تكوينـاتها المعمارية وعلى الأخص المسـاكن، فقـد حددت التعاليم الإسـلامية نظام حياة الأسرة بما يحفظ الحرمـات والعرض فأخذ طابعها بمرور الزمن سلوكا حرص عليه السكان حرصا شديدا وأصدر الفقهاء أحكامهم التي تدعم الخصوصية، وطبقها القضاة ولم يتسامحوا في كشف حرمات المنازل بالنظر من أبوابها أو أثناء المرور في الطـريق أو بجرحهـا من خلال الإطـلاع على المنازل المجـاورة من الأسطح والكوى التي تكشف بيوت الغير ومـا قد يترتب على ذلك من منع فتح النوافذ والمظلات بمقاييس تناسب غرض التهوية والإضاءة والاظلال، وهي حاجـة تشتد بصفة خاصـة في المدن الإسلامية التي تقع غالبـا في المنطقة الحارة من العالم حيث تـزداد الحاجة الى الهواء في فصل الصيف على الأخص، وتمثل الحل في الاقتصار على استخدام الطرق كشريان اتصـال، واعتمد على الفناء الداخلي في بقيـة الأغراض الأخرى كفتـح النوافـذ والمطلات وتوفير درجـة جيدة مـن الإضاءة والتهـوية، وتجنب فتح المطـلات على الشوارع أو الجيران ومـا ينجم عن ذلك من ضرر للبيـوت المجـاورة، ومن هنـا سـاد الفنـاء كعنصر رئيسي في تخطيط البيت الإسـلامـي، وأصبح يمثل محور النشـاط الرئيسي في المساكن والمباني الإسلامية الأخرى، والفناء عنصر أساسي في تخطيط المنزل الشرقي منذ القـدم، إذ ان تصميمه المعماري يناسب

---

(١)محمد عبدالستار عثمان: المدينة الإسلامية

مناخ المنطقة الحارة [1] حيث يتسبب في خفض درجة الحرارة نتيجة الظلال الناشئة من تقابل أضـلاعه بمقدار درجتين مئويتين، واحداث تهوية جيـدة على أساس أن الفناء بدرجـة حرارته المنخفضـة يكون منطقـة ضغط مـرتفع والخارج (الطريـق) يكون منطقـة تفـريغ أي ضغط منخفض، وتبعـا لذلك ينسـاب تيار هـواء مستمر من الفنـاء للطريق، وعليه فقد استخدم الفنـاء في فتح النوافذ والمطلات المختلفة عليـه تجنبا لصعـوبة فتحهـا على الطرق الخارجيـة بدرجـة كافيـة للتهوية والإضاءة والاطلال.

صممت الأبـواب الخارجيـة المطلـة على الطـرق بحيث لا تكشف حرمات المنزل اذ تفتح على دهليز ملتوي فيصنع الالتواء مانعا للنظر داخل البيت من المارة أو من البيـوت المقـابلـة أو الحوانيت، كما قلل عدد النوافذ في الطابق الأرضي وضاقت مقاساتها وخصصت حجرات هـذا الطابق غـالبا للتخـزين لملاءمتـه لهذا الغرض، ولتعل الطـوابق الرئيسيـة المستخدمة في المعيشـة عن مستوى الطـريق لحمايتها من فضول المارة ولتوفير نسبة أكبر من الضوء والهواء و الهدوء [2].

في حالة امكـانية فتح نوافذ ومطلات على الشـوارع سواء كان في جدران أو (براوين) كـان الحرص شديدا على ألا تكشف داخل البيت لذلك استخـدمت السواتر الخشبية المصنـوعة من خشب الخرط على هيئة حـواجز أو مشربيات تمكن مَنْ خلفها من رؤيـة الطريق وليس العكس.

---

(١) أحمـد محمـد عبـدالله : المنـاخ والعمـارة.

(٢) محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسـلامية.

صممت قاعات الاستقبال في المنازل تصميما خاصا بحيث وضعت غالبا في الطابق الرئيسي بعيـدا عن غرف المعيشة والنوم التي توضع في الطـوابق العليـا، وتميزت منـازل اليمن بأن أعلى طـابق استخـدم للضيـوف والاجتماعـات والراحـة بحيث تجعل استقـلاليـة لغـرف الاستقبال عن بقيـة الوحدات الأخرى بـالمنزل والاشراف على المدينة بمناظره الطبيعية في نفس الوقـت، فانسحبت عليه التسمية: المنظر أو المنظرة أو المفرج وأحيانا الغرفة الكبيرة.

تبلور هذا الاتجاه في تخطيط البيت حتى أصبح في العصر العثماني يشمل على قسم معين مخصـص للـرجـال واستقبـالاتهم ويضم القاعات والمجالس المؤثثة وهـو ما أطلق عليه (السلاملك) وقسم آخر يشتمل على غـرف المعيشـة وقـاعـات النـوم ومـرافقـه أطلق عليـه (الحرملك) - نسبـة الى الحريم - ووزعت غرفه بين أجنحـة متكاملة كـوحـدات مستقلة، ووزعت قـاعـات النـوم تـوزيعا خـاصـا يكفل الخصوصية بين أفراد الأسرة الواحده، وامتد ذلك الى تحديد مواضع المراحيض والحمامات والمطابخ.



سمات عامة للبيت القديم في ظفار

بعـد العجالـة السـابقة عن المدينـة الإسـلامية والبيت الإسـلامي سيكتشف الناظـر لبيوت ظفـار تلك السمات الإسلاميـة منذ الـوهلة الأولى، وذلك النسيج المتماسك الـذي تتداخل فيـه العقيدة والسلـوك والذي بقيت العمارة شاهدة عليه حتى الآن.

اختير مـوقع المدن بمحـــافظـة ظفـار في أفضل الأمـــاكن بطـول السـاحل، وروعي قربها من مصــادر المياه الشريـان الحيوي لحيـاة الناس، وقسمت شوارعها بحيث ينفذ الهواء الى أبعد مكان عن البحر بالمدينـة. كما روعي فيها طبيعـة الساحل الـواقع عليه المدينـة وماء البحر مـن حيث المعوقـات التي قد تـواجهه من الصخـور والتيارات البحرية غير الملاءمة.

بالنسـبة للبيــت في ظفار فإنه يتكـون من البناء نفســه تحيط به مساحة خالية هي الفناء محاطة بسور، وللفناء باب خارجي، والبناء (البيت)، مكون من ثـلاثة طوابـق وربما يقل عن ذلك، واستغل البنّاء كل العـوامل البيئيـة ســواء اكانـت جغرافيـة المدن أو مـوقع البنـاء وتكوينه.

فالموقع اتخذ بحيث تكون واجهـة البيت في اتجاه الجنوب معتمدة على الرياح الجنوبية (النسيم) وبها عدد كبير من النوافذ التي تسمح بدخول الهواء والضوء للبيت.

تضمن البيت (الشمسيـه) التي تصنـع مسقطـا للهـواء الى داخل البيت فتحـدث تيـارا من الهواء عـلاوة على اختـلاف الضغط لفـرق

درجـات الحرارة في الشمسية وخـارجهـا وتيار الهواء في الشمسيـة يحرك الهواء الداخل من نوافذ البيت.

وبهذا تمكن البنّـاء والمصمم المعماري العماني في ظفـار من عمل تهوية جيدة للبيت وتقليل درجة الحرارة من الداخل.

كما أن استخدام الحجر في البنـاء واستخدام النخيل واجزاءه مع الطين يصنع عازلا للحرارة، وبهذا كان البناء في ظفار واعيا لمشكلات المكان والمناخ والبيئه، وتعامل معها بحرفية ومهارة عالية، واستخدم الخامات الموجودة في البيئة الطبيعية افضل استخدام حتى في الدهان، فقد افـرد مساحات كبيرة للدهـان باللون الابيض لواجهـات المنازل لتقليل امتصـاص حـرارة الشمس ولم ينس أن يضع لمسـة جماليـة رقيقـة إذ صمم دهـان الـواجهـه بحيث يتبـادل اللـون الابيض مع مسـاحات ضيقـة ذات لون داكن ممـا اضاف لمسـة جمالية مميـزة للشكل الخارجي للبيت.

اهتم العرب المسلمون بالفنون التشكيلية بعد انتقال مركز الخلافة الإسلاميـة الى خارج شبه الجزيرة العـربية في عهد خلفـاء بني امية ونسبت الاسـاليب الاسـلاميـة في الفنـون الى مـدارس فنيـة نسبـة لعصور سياسية مختلفة (١).

إزدهرت الصناعات الخشبية على اختلاف أساليبها طوال العصور الإسلاميـة وبرع الفنان المسلم في تهذيب خـرط الخشب الذى يشمل الكراسى، الدكك، والستر الخشبية والمشربيات وترك نماذج رائعة من

---

(١) نعمت اسماعيل علام : فنون الشرق الاوسط ج ٢.

الحفر على الخشب بأشكال مختلفة ذات زخارف نباتية مصدرها فروع النباتات وأوراقها وزهورها في عمل زخارف هندسية[1].

إستخدم الفنان العماني الأخشاب المتوفرة بالبيئة المحلية، ويجدر القول بأن نوعية هذه الأخشاب لم تمكنه من اظهار مهارته التى وضحت في اعماله، فلا نجد الحشوات الخشبية المتميزة فنيا ولا الأشغال المحفورة حفرا دقيقا أو المطعمة بالأبنوس أو الأصداف أو سن الفيل، وليس هذا عن تقصير من الفنان العماني، لكنها قلة الخامات التى توافرت لديه في بيئته، ورغم ذلك، ففي السطور القليلة الآتية سنحاول أن نلقى الضوء على ما أبدعه الفنان من أشغال خشبية التى تمثل وتميز الفن الإسلامي العربي أو ما أطلق عليه «أرابيسك».

بدءا من السدة يطالعنا الباب الخشبي الضخم الذى تم تقويته وتزيينه في نفس الوقت بعوارض خشبية سميكة متقاطعة مع أخرى طويلة بحيث تصنع تشكيلا هندسيا (شكل رقم ٣) أضاف له الفنان في أعلى باب الدخول الصغير «الفرخ» بتشكيل محور يماثله بالصف الآخر من الباب شكلا يشبه الباب الصغير وبنفس الرسم، وزينت ألواح الباب بحفر دقيق مستعرض رفيع الخطوط تقطعها الخطوط الرأسية للألواح الخشبية، ولم ينس الفنان القوشمه فزخرفها بحفر هندسى على شكل خطوط متقاطعة بزوايا حادة.

وكلما تمكن الصانع العماني من إضافة لمسة جمال في عمله، لم

---

(١) محمد صدقى الجباخنجي : الموجز في تاريخ الفن.

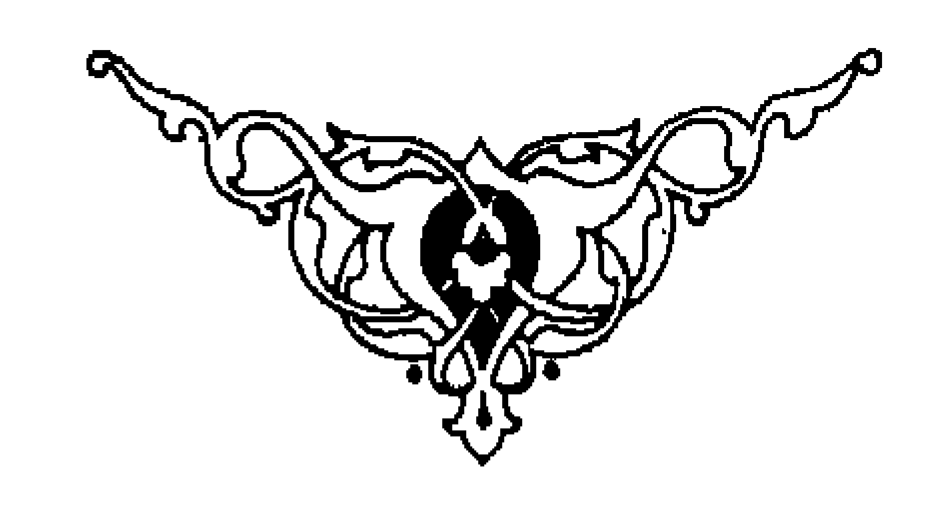
يتوان عن اضافتها (شكل رقم ٦) إذ عمل تقوية للباب بحيث تثبت ألواحه الخشبية فصنع هذه التقوية بعوارض طوليه وعرضيه مثبته بمسامير ذات رؤوس كبيرة نصف كروية. ظهر في النوافذ (الخلاف) دقة الفنان بالبيوت القديمة في ظفار وابداعه، ولدينا خمسة نماذج من الأشكال الخشبية للنوافذ بالبيوت القديمة في ظفار، ورغم أنها ذات أسلوب واحد في كونها مستطيلة ومقسمة الى ثلاثة اقسام مستعرضه متساوية والجزء السفلي منها مصنوع من الخشب المعشق الذي يحفظ حرمة البيت، فإن لكل منها شكلا متميزا. والنوافذ مقسمة طوليا الى قسمين فيما عدا (شكل ١٠/١) وشكل (١٠/٣).

في (شكل ١٠/١) الجزء السفلى مقسم إلى ثلاثة أجزاء طولية الأوسط بخمس مفرغ دقيق الصنع والجزئين يمينه ويساره من الخشب المعشق المتقاطع بزوايا حادة. على جانبي إطار النافذة مربعان خاليان لدخول أكبر كمية من الهواء والضوء وعلى الضلع العلوى لكل منهما حشوة خشبية مقعرة نصف مستديرة ومحورة في نفس الوقت، والجزء الأوسط الطولي من النافذة مقسم الى اربعة أقسام سبق ذكر الأسفل منها، وهو عبارة عن شكل نجمي الحفر يعلوه شكل نجمي اكبر في تشكيله يحتل مربعا ذا اطار خشبي واضح يعلوه مربع مفرغ اعلاه حشوة خشبية نصف مستديرة مقعرة ومحورة وفي أعلى الجزء الأوسط مربع يملؤه شكل نجمي يماثل الجزء الثاني من أسفل، وهذه النافذة تعتبر نموذجا فريدا لدقة ومهارة النجار العماني.

(شكل ١٠/٣) الجزء السفلي من النـــافـــذة مـن الخشب المعشق المتقاطع بزوايا حادة وعلى الجانبين صفين من القتمات المفرغة أعلاها حشـوات خشبيـة نصف مستـديـرة محورة وفي المنتصف جـزئين متتالين بهما حفر بسيط.

(شكل ١٠/٤) النـافذة مقسمـة إلى ثـلاثة أجـزاء أفقية وجـزئين طـوليين، الجزء السفلي من الخشب المعشـق واسع الفتحـات يعلـوه صفين من الفتحات الفارغة تعلوها حشوات خشبية نصف مستديرة مقعرة ومحوره.

(شكل ١٠/٢)، (شكل ١٠/٥) يتكـونان من ثـلاثة اقســام أفقية مستعرضه وقسمين طـوليين، الجزء السفلي منهما مكون من خشب معشق واسع الفتحات بزوايا حادة في (شكل ١٠/٢) وزوايا عمودية في (شكل ١٠/٥) ولا يختلف الجزءان العلويان في الشكلين المذكورين عما سبق وصفـــه ولكـن (شكل ١٠/٢) يختلف في أن الجزء الأعلى مكـون من صفـوف من قطـع خشبيـة رأسيـة تفصلهـا مســافـات متساوية. ويشترك الشكلان معاً في أنه يعلوهما في البناء نفسه شكل نصف بيضاوي مـزدوج يعطي إحساســا بتصميم القبله في الجوامع مما يعطينا إحساسا قويا بالصفة الإسلامية.



تقسيم البيت الظفاري ومرافقه الخارجية

جميع المبانى القديمة بمحافظة ظفار قد أنشئت بدون استثناء في مواجهة البحر (الجنوب) حيث يهب الهواء البحرى الذى يسمى (النسيم) في أغلب أوقات السنة ماعدا فصل الشتاء حيث يكون إتجاه الهواء من الشمال، ولهذا السبب نجد أن جميع المجالس والصالات والغرف في مقدمة المبنى في اتجاه البحر أما الجهة الشمالية من المبنى فهى مخصصة للخدمات كالمطابخ ودورات المياه، وكل مجموعة من هذه المباني تشكل حيا يتوسطه مسجد للعبادة وساحة كبيرة لإقامة الأفراح في المناسبات المختلفة.

(إنظر شكل رقم ٢).

ولو أخذنا نموذج من المباني القديمة في محافظة ظفار يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أدوار كالآتى :

أولاً : الدهاليز :

وهو الدور الأرضي ويستخدم في أغراض التخزين بأنواعه.

ثانيا : المحايل :

وهو الدور الأول ويستخدم للسكن.

ثالثا : القصور :

وهو الدور الثاني ويستخدم للسكن ايضا.

وفي هذا المقام أريد أن أذكر ملاحظة في أنه ليس بمقدور كل الناس اقامة مبانى من النمط المذكور أعلاه، فمنهم من يقتصر على دور واحد فقط والبعض على دورين .. الخ . أما المقتدرون ماديا فإنهم يبنون حسب النموذج المذكور أعلاه.

١) **الدرب :**

وهى المساحة الواقعة امام المبنى، وفي الغالب تكون مسورة وتحتوى على بئر للماء في احد أركانه ، وفي الركن الاخر المقابل يعمل حظيرة للحيوانات تقفل بواسطة باب يسمى (الشجب) وهو مصنوع من الخشب المحلى.

٢) **السده :** (إنظرشكل رقم ٣) :

وهو الباب الرئيسي الخارجي للدرب، ويتكون من شقين (ورقتين) شق ثابت أم الشق الآخر فهو متحرك، والشق المتحرك يوجد في وسطه باب صغير يسمى (الفرخ) يسمح بدخول إنسان واحد فقط، ويتم فتحه بواسطة حبل يكون طرفه في الدور الأول (المحايل) وعند قدوم الزائر يتم قرع الباب فيشد الحبل بواسطة صاحب المنزل وتتكون من :

أ) **القوشمة :** (إنظر شكل رقم ٤) :

وهو عبارة عن القفل الذى يفتح ويغلق الباب (السده).

ب) **السارقة :**

وهو المفتاح الخاص بالقوشمة.

جـ) **المغلاق :**

وهو قطعة من خشب طويلة توضع بشكل مستعرض لغلق شقى الباب (السده).

د) **السكرة :** (إنظر شكل رقم ٥) :

وهي عبارة عن قطعة من الخشب أحد اطرافها مدبدب تغلق شقي (ورقتي) الباب من الأعلى ومن الأسفل.

هـ) الزافر : (إنظر شكل رقم ٦) :

وهو الإطار الاعلى من الباب (السده) .

و) المردم : (شكل رقم ٦) :

وهو الإطار الاسفل من الباب (السده)

٣) البونى : (شكل رقم ٧) :

باب صغير في الدرب .

٤) التباشير : (شكل رقم ٨) :

تـوجـد على الجزء الأعلى من السـور المحيـط بسطح البيت وهي تشبـه شرفيـات المسـاجـد على شكل مـدرجـات صغيرة وتعتبر من السمات المميـزة للبيت العماني القديـم في ظفار والتى تتميـز بجمال نفسي كبير حيث ترتبط بمدلول اجتماعي احتفالي إذ أن هذه الدرجات الصغيرة يـوضع عليها اللبـان ويشعل فتملأ المكـان رائحته الطيبـة وذلك في حالـة قدوم المسـافرين من الخارج فـرحا بعـودتهم سالمين واحتفاء بهم وكذلك في المناسبات والافراح.

التباشير تكشف عن ميزة اجتماعيـة ونفسية لاهل ظفار أنفسـهم لطبيعة استخـدامها إذ تـوضح ميلهم واقبالهم على الحيـاة والترابط والتآلف والـود الذى يربط بين النـاس في ظفار وترحيبهم بالغـرباء وكرمهم وميلهم الى ماهو طيب في الحياة.

٥) المراعيض :

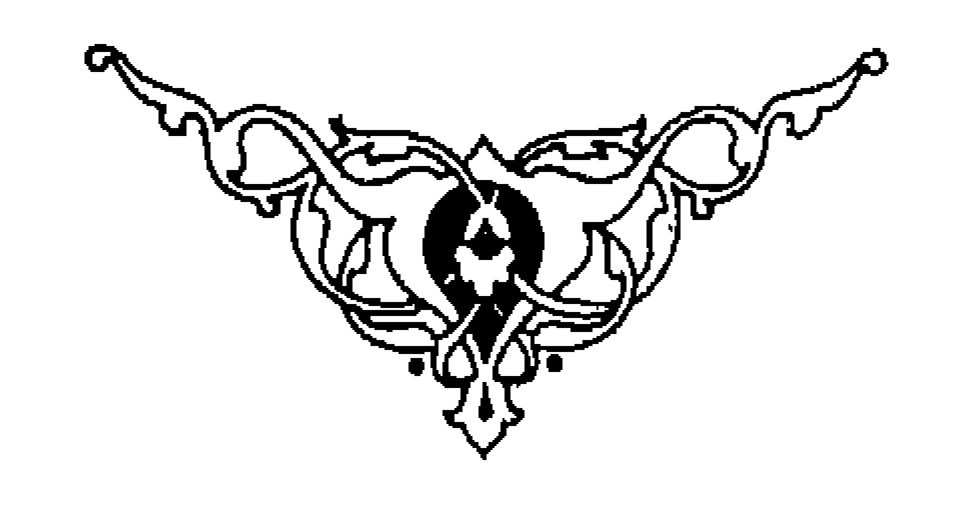
الفتحات في سطح المبنى وتستخدم لتسريب مياه الأمطار.

٦) **التشريفه :**

أحجار بـارزة من أحد جدران المبنى الرئيسي بغـرض ربطها بأى بناء جديد يراد إضافته للمبنى القديم.

٧) **الخـلة :**

خـزان الصرف الصحى ويقع في أحـد أركان المبنى جهـة الشمال حتى لا تـؤذى رائحتـه السكان إذ أن الـريـاح تأتى من الجنـوب في إتجاه الشمال معظم أوقات السنة.



عدد الأدوار وتقسيماتها واستخداماتها

أولا - الدهالـــيز :

وهـــو الـدور الأرضي من المبنى وبــه المدخل الـرئيسي (السـدة الداخليـة) وهي بنفس المواصفـات للباب الرئيسي الخارجـي للدرب (السدة الخارجية). ويتم استخدام الدور الأرضي (الدهاليز) للتخزين بأنواعه ، أضف الى ذلك إيـواء الحيوانات في فترة الليل لحمايتها من الأمطار والرياح، وينقسم الدور الأرضي كالتالي :

١) الضيـــــقة :

وهي المســاحة الكـائنة أما البـاب الرئيسي (السـدة الداخليـة) من الداخل ومن خلالها يتوجه الشخص الى الدور الأول (المحايل).

٢) الرقاقيــــــد :

وهو الدرج الرئيسي للمبنى .

٣) الرويجعـــة :

وهى المساحة الكائنة بعد الدرج (لوبى).

٤) الفتحة أو الفتح :

وهى عبارة عن مخازن كبيرة في الـدور الأرضـى (الدهــاليز) وفي العادة هــذه المخازن التى تتميز بمسـاحـات كبيرة لا تقفل بأي أبواب وتستخدم لإيواء الحيوانات والتخزين بصورة عامة وتجميع مخلفات المنزل بها لحين التخلص منها.

٥) **الســـراب :**

وهو أحد أنواع الفتح ولكنه مستطيل الشكل ويستخدم خصيصا في تخزين العيد (السردين) بعد تجفيفه لتعطى للأبقار كعلف.

٦) **المـــودى :**

وهو عبارة عن مخزن يتم تقسيمه من الداخل إلى أحواض عده وذلك لحفظ الحبوب كالذرة، القمح .... ألخ.

ثانيا ـ المحايل :

وهو الدور الأول من المبنى ، ويستخدم للسكن وفي العادة يتكون من صالة مربعة كبيرة وعلى جانبيها محلتين (غرفتين) ومطولين يقع واحد في الركن الجنوبى الشرقي من المبنى والأخر في الركن الجنوبي الغربي، وفي العادة تصمم الغرف والصالات بحيث تكون في مقدمة المبنى للإستفادة من الهواء الآتى من الجنوب والذى يسمى (النسيم).

كما يتضمن الدور (المحايل). عدد من الغرف الصغيرة وعدد من المرواح (إستراحة للجلوس) أما الجهة الشمالية من المبنى فهى مخصصة للخدمات كالمطابخ ودورات المياه كما ذكرنا سابقا، ويمكننا تقسيم الدور الأول (المحايل) إلى الآتي :

١) **المربعـه :**

صالة مربعة الشكل وهى الأكبر مساحة في الدور يحمل سقفها جسر يسمى (قوسم) مصنوع من الخشب المحلى من أشجار النخيل (النارجيل ـ جوز الهند) أو من الأشجار المستجلبة من منطقة الجبل، ويرتكز هذا الجسر على عمود يسمى (سهم) والمربعة مخصصة للإستقبالات.

٢) المحــــــلة :

ولها نفس معنى الغرفة أو الحجرة .

٣) المطـــــول :

وهــو عبارة عن غــرفــة مستطيلة الشكــل وهى أكبر مساحــة من المحلة، وفي العادة يــوجد مطولين في الدور الأول (المحــايل) أحدها في الركن الجنوبى الشرقى والآخر في الركن الجنوبي الغربى من المبنى.

٤) المـــــروح :

وهو عبارة عن مساحة مقفلة أمام الغــرف تســتخدم كاستــراحة.

٥) المحــضرة :

وهى المساحة الواقعة أمام المراوح وفى الغالب تكون غير مسقوفة من الأعلى.

٦) الخســــة :

وهى عبــارة عن فتحــة موجــودة في المحضرة أو فى أى مكــان من المبنى نتيجة تهدم جزء من السقف.

٧) العــــكرة :

وهي فتحة في اقصــى المحضره يتم من خلالها القــاء المخلفات إلى الدور الأرضـى «الدهالين».

٨) الناصغــة :

يطلق على نصف المبنى الشرقى بالنــاصغة الشرقية ونصف المبنى الغربى بالناصغة الغربية.

٩) الخزانة أو الخزينة :

وهى عبارة عن مخزن صغير ملحق بالغرف.

١٠) الخرستين :

هــو عبــارة عن دولاب محفــور داخـل الحائط لحفظ الملابس وخلافه.

١١) المصنــع :

وهو عبـارة عن فتحة كـذلك محفورة داخل الجدار (الحائط) على شكل عكف مباشرة فوق النـوافذ (الخلاف) ويستخدم لوضـع أدوات الزينة المصنوعة من الخزف المحلى (أنظر شكل رقم ٩).

١٢) الخـــلاف :

يطلق اسم الخلاف على النوافذ وهــي مصنوعة من الخشب المحلى (صفـوت، خفوت، ميطـان، نخيل النـارجيل) وقـد أبدع في الحقيقـة الفنانون العمانيون في هذا المجـال حيث ترى دقة النقش والحفر على هذه الأخشاب (أنظر اشكال رقم ١٠).

١٣) التـــلة :

تعنى الجالى الخارجي للنوافذ (الخلاف) وتصنع من عيدان قصب الذرة أو غيره ويتم ربطها بواسطة الحبال.

١٤) العتبـــة :

هو الدرج الصغير المكون من درجة أودرجتين أمام أبواب الغرف، وله معنى آخر يطلق على الجسورة التى فوق النوافذ (الخلاف).

ثالثا ـ القصور :

وهـــو الـدور الثـــاني من المبنى ويستخـــدم للسكن ولـــه نفس مـواصفـات الـدور الاول (المحـايل) مع فـارق بسيط أنــه في بعض الأوقات يتم بناء نصف الدور الأمامى من الجهة الجنوبية من المبنى فقط، والنصف الشمالى يترك دون بنـــاء، وتستغل هـذه المســاحـة الخالية من البناء في السمر خلال الليالى القمرية.

المواد المستخدمة في بناء البيت الظفاري

١) يستخـدم حجر القص في البنـاء ويستخـرج بـواسطة الإنسـان يـدويا والـذى يقوم بقطعـه من الأماكن المعـروفة في المنطقـة في أشكال مستطيلـة ويعتبر عازلا للحـرارة. أما في الـوقت الحاضر يستخـدم لتغطيـة واجهـات المباني بعـد ان إستخـدم الإنسـان الطابوق المصنوع من الأسمنت في البناء.

٢) يستخدم الطين المحلى (يبع أو خطرى) في عملية البناء.

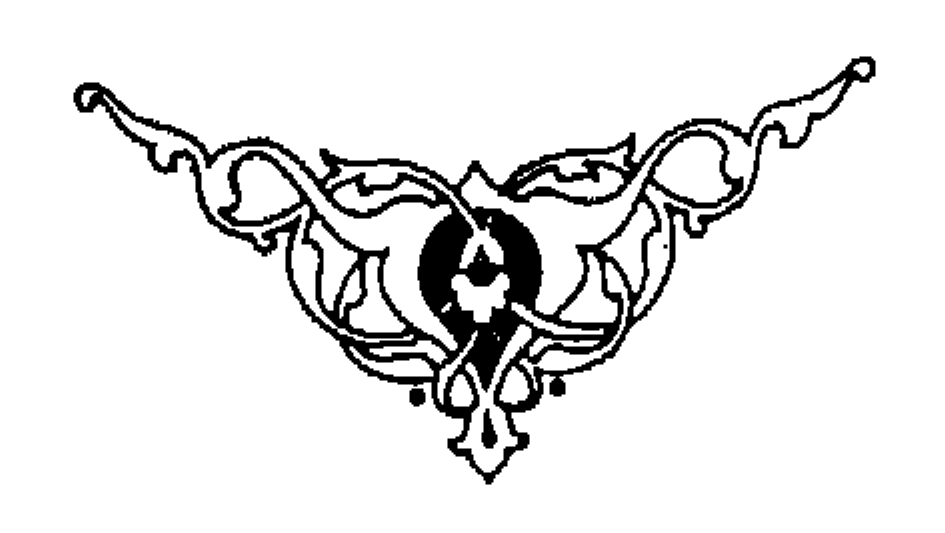
٣) المحض وهو (البلاستر) وذلك بخلط الطين المحلى مع رمل البحر (البطاح) بنسبة (٢ ـ ١).

٤) يتم صبية سقف المبنى بوضع القبال (إنظر شكل رقم ١١) التى تستخـرج من الأشجـار المحليـة (صفـوت، خفـوت، خير أو من أشجـار نخيل جوز الهنـد) وذلك بـوضعهـا فوق حـائط المبنى (جـدار) بمسافـات متقـاربـة (٤٠ سم) وبعدهـا يتم تغطيتهـا بواسطة الـركراك وهى عيدان تقطع من الأشجـار المحلية (إنظر شكل رقم ١١) ثم يـوضع سعف أشجـار النـارجيل (الليف) ويرش بالماء ثم تعمل خلطـة للصبية تسمى (البغل) وتتكون من الطين المحلى إضافة الى مخلفات سنابل الذرة أو أى مزروع آخر ويسمى (غشار) ومن ثم يصب السقف بهذه الخلطة.

٥) يتم الطلاء الـداخلى والخارجي للمبنى بواسطة النـورة البيضاء التى تصنع محليا وذلك بحـرق الأحجار الصماء الكبيرة لفترات طويلـة حتى تتحول الى بـودرة بيضاء ثم تصفى مـن الشوائب وتخلط بالماء لعمل الطلاء.

٦) تستخدم جذورع الأشجار المحليـة بعد تهذيبها في ربط الحوائط بعضها ببعض وتقويتها وتسمى (البسط).

٧) يستخـدم الجبس المحلى في تزيين حـوائط الغرف والمجـالس من الداخـل ومن أشهر التشكيلات هـى (الكوانز) التى تعمـل فوق الأبواب والنوافذ (الخلاف).



خاتمـــة

وضح لنـا خلال الـدراسـة الآنفة كيف أن البيت العماني القـديم يعتبر مثـالاً حيا للعمارة الإسـلامية في شبـه الجزيرة العـربية ممـا يوضح مدى عمق إيمان المجتمع الإسـلامي في محافظة ظفار ووعيه بقيم الإسـلام وتعـاليمـه حتى أصبح سلـوك هـذا المجتمع تـرجمة حقيقية لمدى إستيعابه لما ورد بالكتاب والسنه.

وأكـدت عمارة البيت العماني القديم في محافظـة ظفار وعنـاصره وتوزيع الخدمـات به مدى مهـارة البناء والصـانع العماني وإدراكه لكل مفردات الواقع الطبيعية والإجتماعية فكان البيت العماني الملائم لإحتيـاج الأسرة والمحافظـة على خصوصيتهـا بإستخدام المتـاح من الخامات وبشكل تـوافرت فيه سبل الراحة والعنـاصر الجمالية التى تعتبر دليلا على مدى ما رقى إليه الصـانع العمانى حتى أفرز لنا فنا وجماليات سـواء في شكل البناء أو زخرفتـه أو ما حـواه من أشغال خشبية هي جزء حقيقى من طرازه الإسلامي الأصيل والواضح من النظرة الأولى.

يـرجع تاريخ بنـاء بعض البيـوت القديمـة في محافظة ظفـار إلى ثلاثمائة سنـه وتعتبر حقيقة ضمن الآثار التى يجب المحافظـة عليها والتأكيد على حمايتها من الهدم وإحـلالها بمساكن حديثة لضرورات فرديـة، فهذه البيوت بمثـابة كنـز أثرى لو أننـا أهملناه فإن مصيره

الإندثار وهذا ما يتنافى مع الإتجاه الأصيل الذى وضع لبناته ورعى مسيرته، مولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ـ حفظه الله ـ والخاص بالحفاظ على التراث العماني ضمن النهضة العمانية المعاصرة التى تستوعب حضارة الأسلاف وتتواصل معها وتتفاعل مع مفردات الحضارة الإنسانية في العصر الحالى.

إن حماية الأثار وترميمها ليس مسئولية الأفراد في المقام الأول ولكنه مسئولية الدولة وأعتقد بضرورة المحافظة على أحد أو بعض البيوت القديمة في ظفار بما تحوى من عناصر أخرى مثل الأثاث والادوات وحتى الملابس إن وجدت وعرضها كأثر يستحق العناية والإهتمام لتشاهده الأجيال الحاضرة، وفي المستقبل هو من الأهمية التى تدعو للإسراع بإتخاذ الإجراءات الملائمة في هذا السبيل.

نرجو في النهاية أن نكون قد قدمنا جهدا يمكن أن يكون ذا فائدة في دراسة تراث بلدنا الحبيب والتعرف عليه وحلقة من سلسلة تغطى تراث بلدنا العريق ، ويتضح حجم هذا الجهد المتواضع في ضوء محدودية الدراسات السابقة حول هذا الموضوع.

وأشير في الختام إلى أن السمات المعمارية للبيت الظفاري كانت موحدة في بيوت مختلف الطبقات الإجتماعية مع إختلافات وإضافات طفيفة في بيوت الموسرين إضافة الى تماثلها الكبير في مختلف مدن المحافظة وذلك نظرا لوحدة المنطلقات الفكرية وتطابق العادات

والتقاليد والأعراف الإجتماعية السائدة. كما لا يفوتنى الاشارة الى أن البيوت الحديثة في محافظة ظفار قد إستوعبت روح القديم وخصوصياته وأفرزت طرزاً معمارية جميلة تزاوج مابين القديم والحديث وتستجيب بدرجة كبيرة لمتطلبات المناخ والتقاليد الإجتماعية، والأمل معقود على قانون عماني للبناء يصدر مراعيا لهذا التراث المعماري الجميل، ومؤهلا له ومؤكدا عليه.

وفي الختام لا يبق لي الا أن اشكر كلا من وزارة التراث القومي والثقافة ووزارة الاعلام الموقرتين على التسهيلات التى حظيت بها وكذلك الى الاشخاص الذين أفادونى بالكثير من المعلومات حول هذا الموضوع.



المراجــع

١ ــ **مصطفى الموسوى** : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ـ دار الرشيد للنشر ـ العراق.

٢ ـ **محمد مصطفى حماد** : تخطيط المدن وتاريخه ـ مصر ـ ١٩٦٥.

٣ ـ **عرفان سامي** : نظريات العمارة ـ دار المعارف ـ مصر.

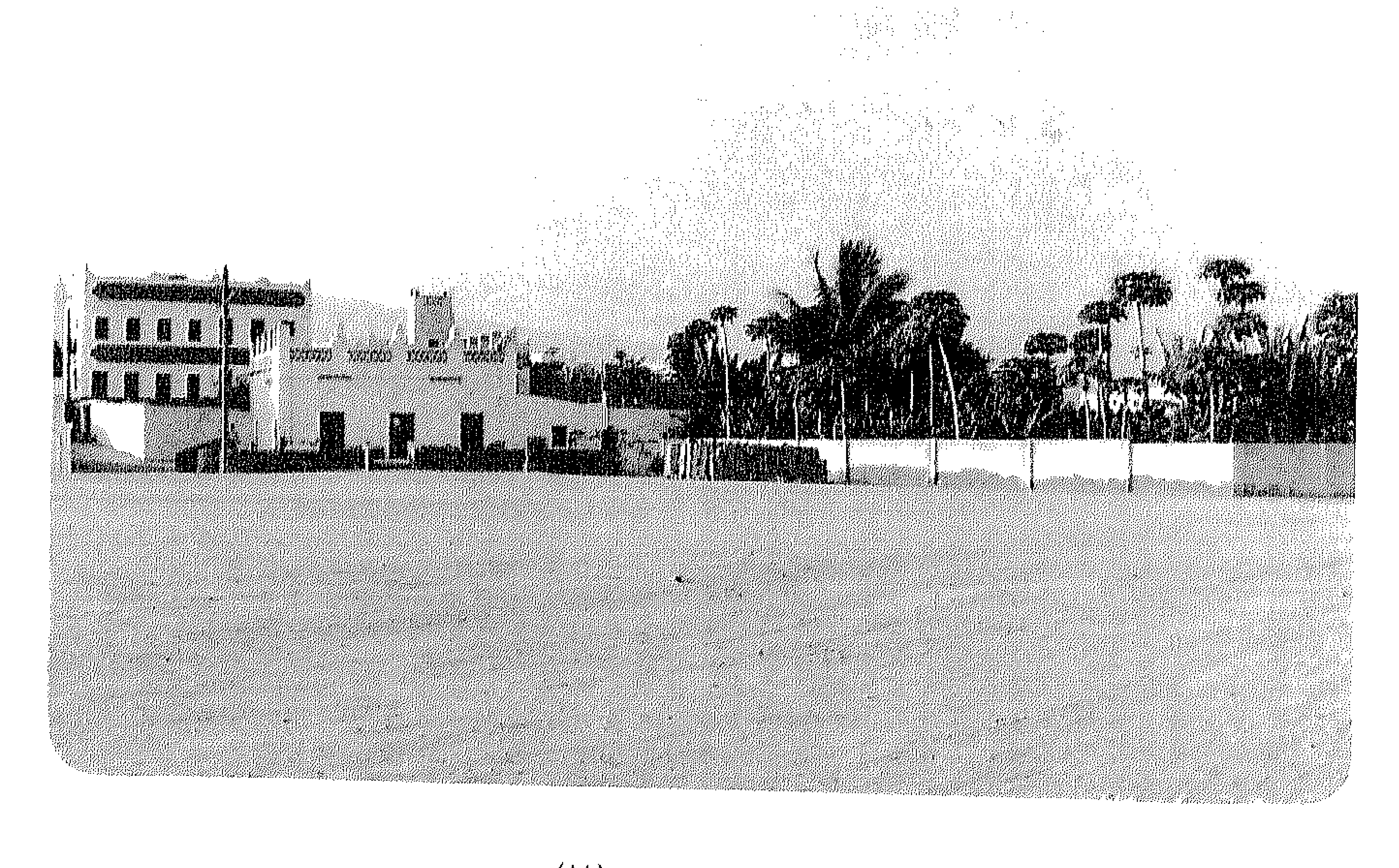
٤ ـ **أحمد محمد عبدالله** : المناخ والعمارة ـ رسالة ماجستير مقدمة لكلية الفنون الجميلة ـ الإسكندرية ـ مصر.

٥ ـ **محمد عبد الستار عثمان** : المدينة الإسلامية ـ عالم المعرفة ـ الكويت.

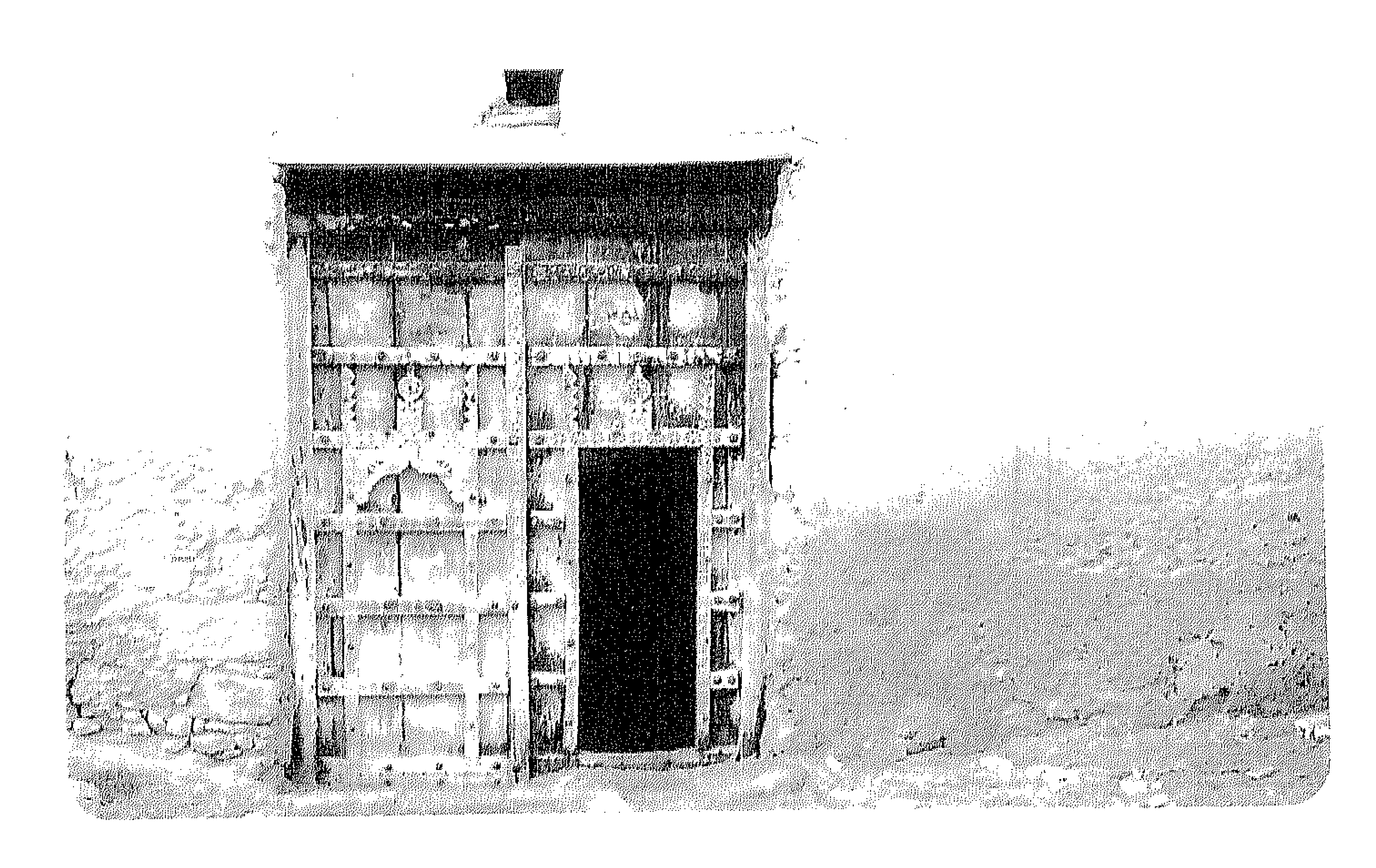
٦ ـ **نعمت إسماعيل علام** : فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية ـ دار المعارف ـ مصر.

٧ ـ **محمد صدقي الجباخنجي** : الموجز في تاريخ الفن ـ دار المعارف ـ مصر.

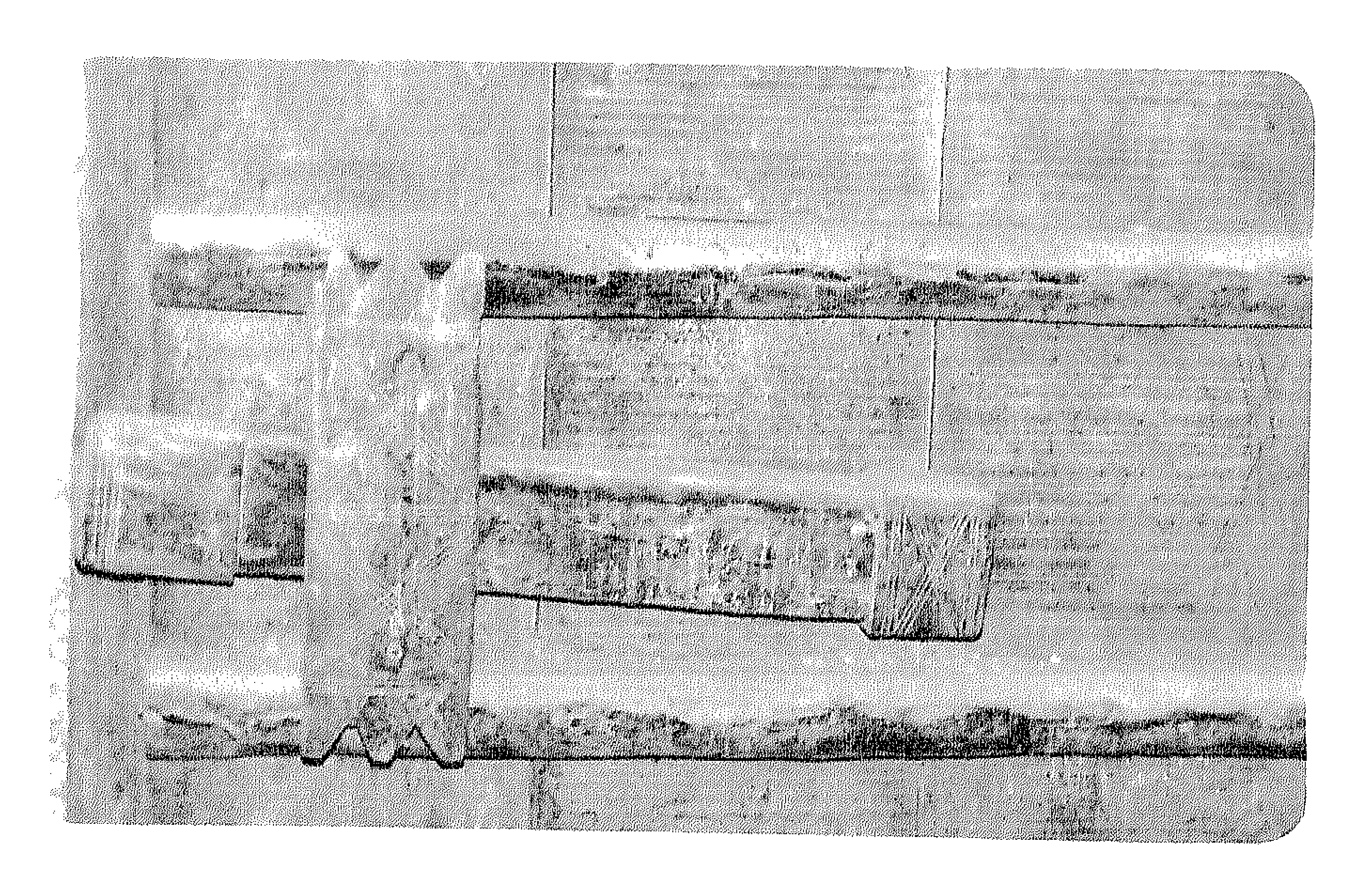
ملحق الصور



شكل رقم (٢)



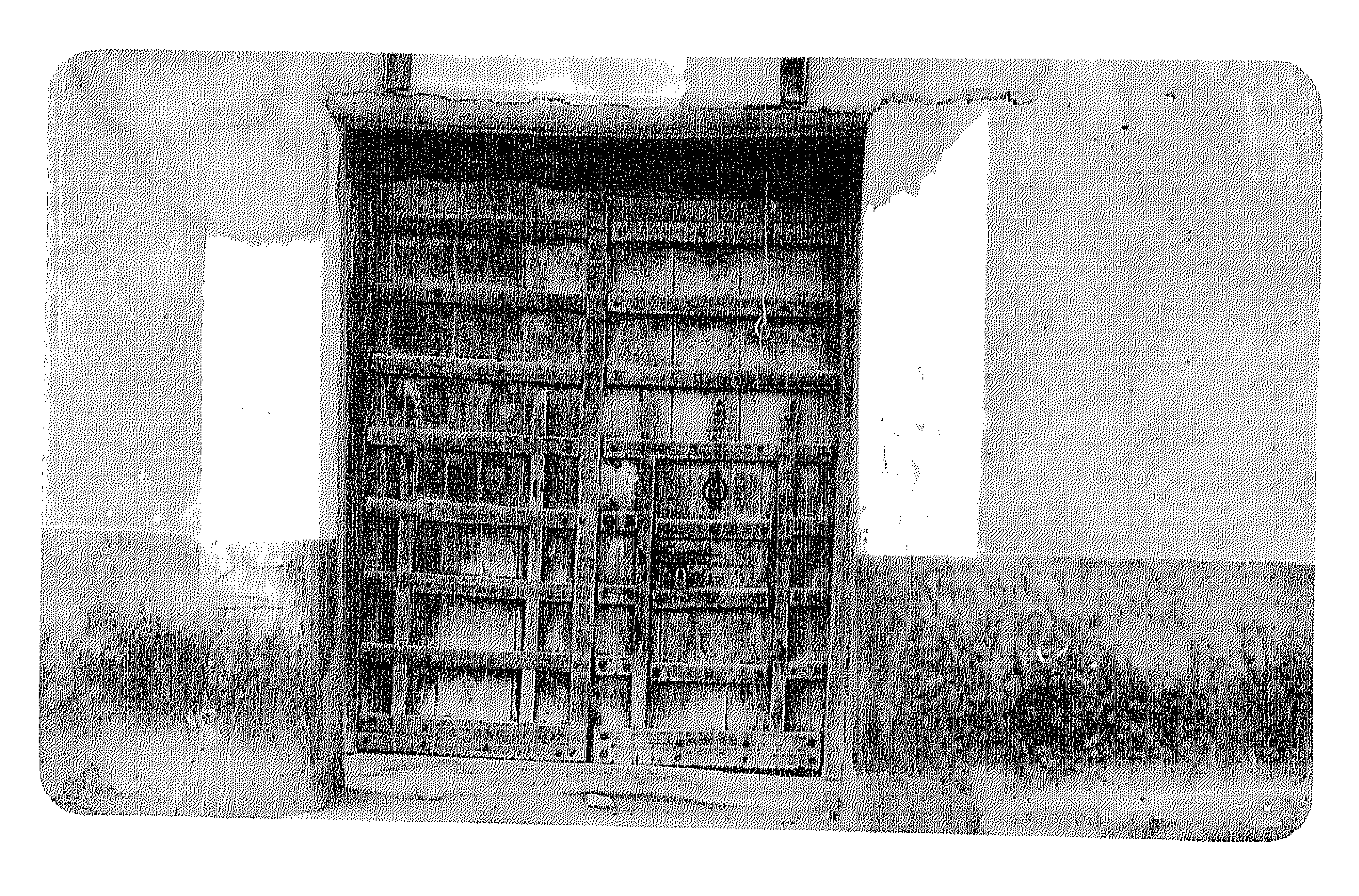
شـكل رقم (٣)



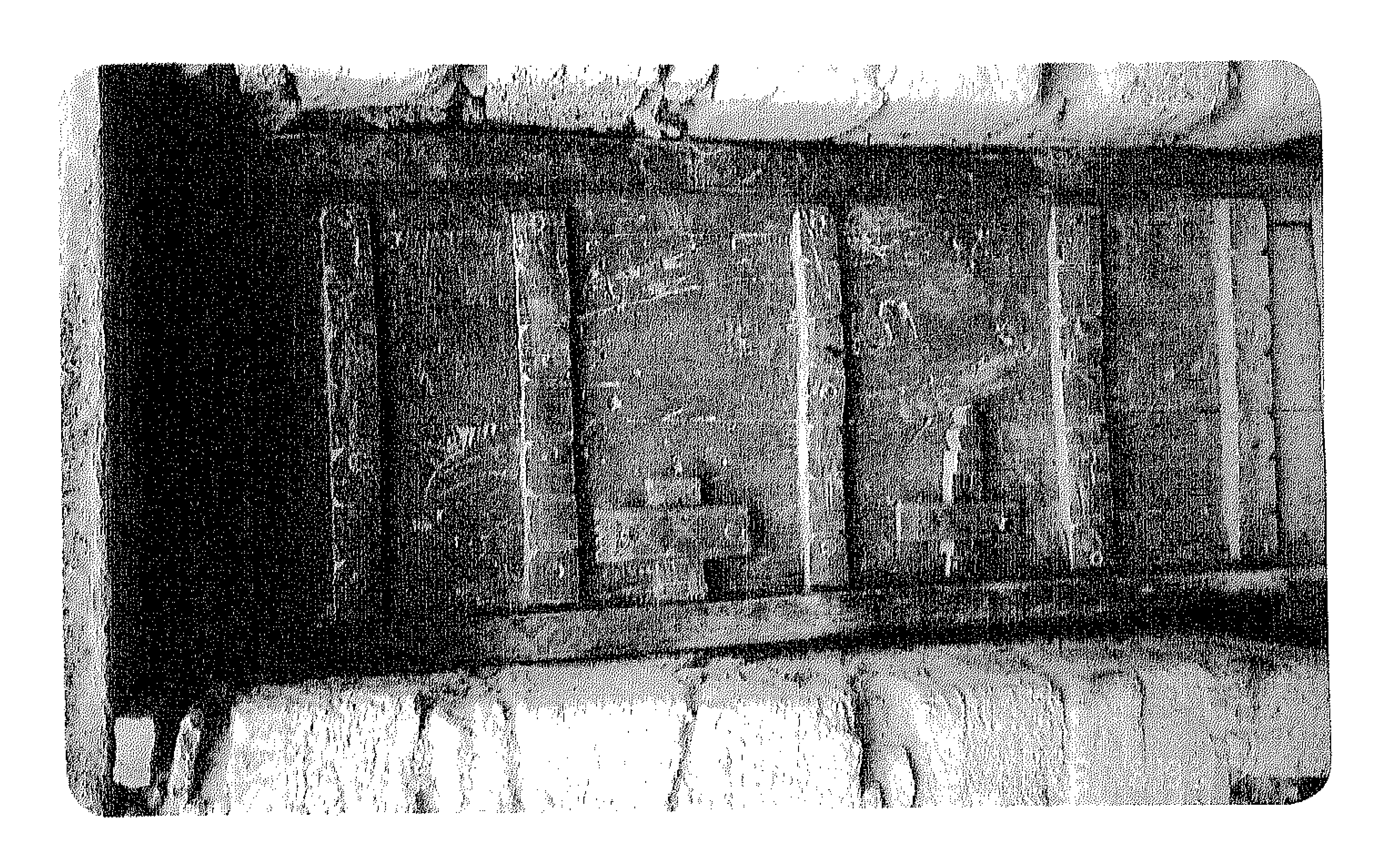
شـــكل رقم (٤)



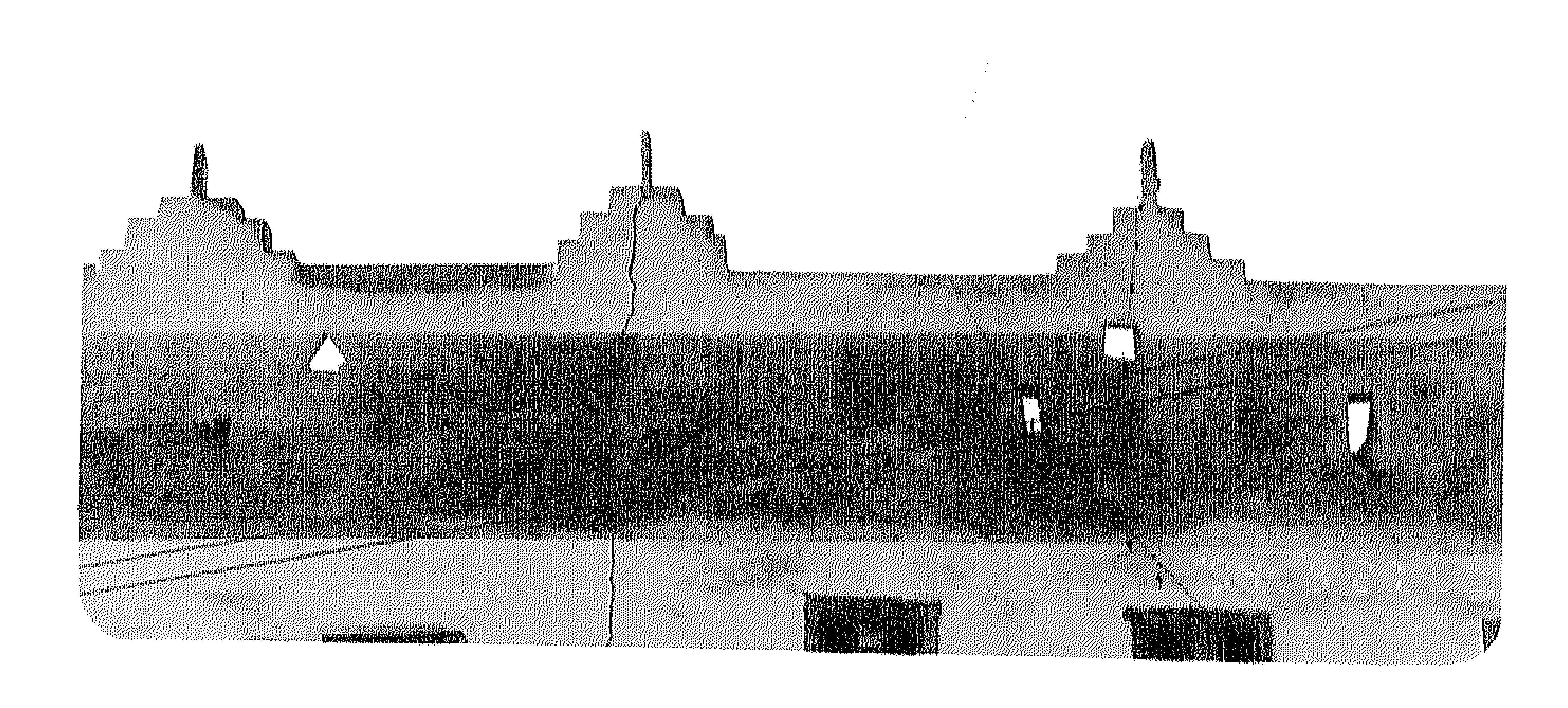
شـكل رقم (٥)



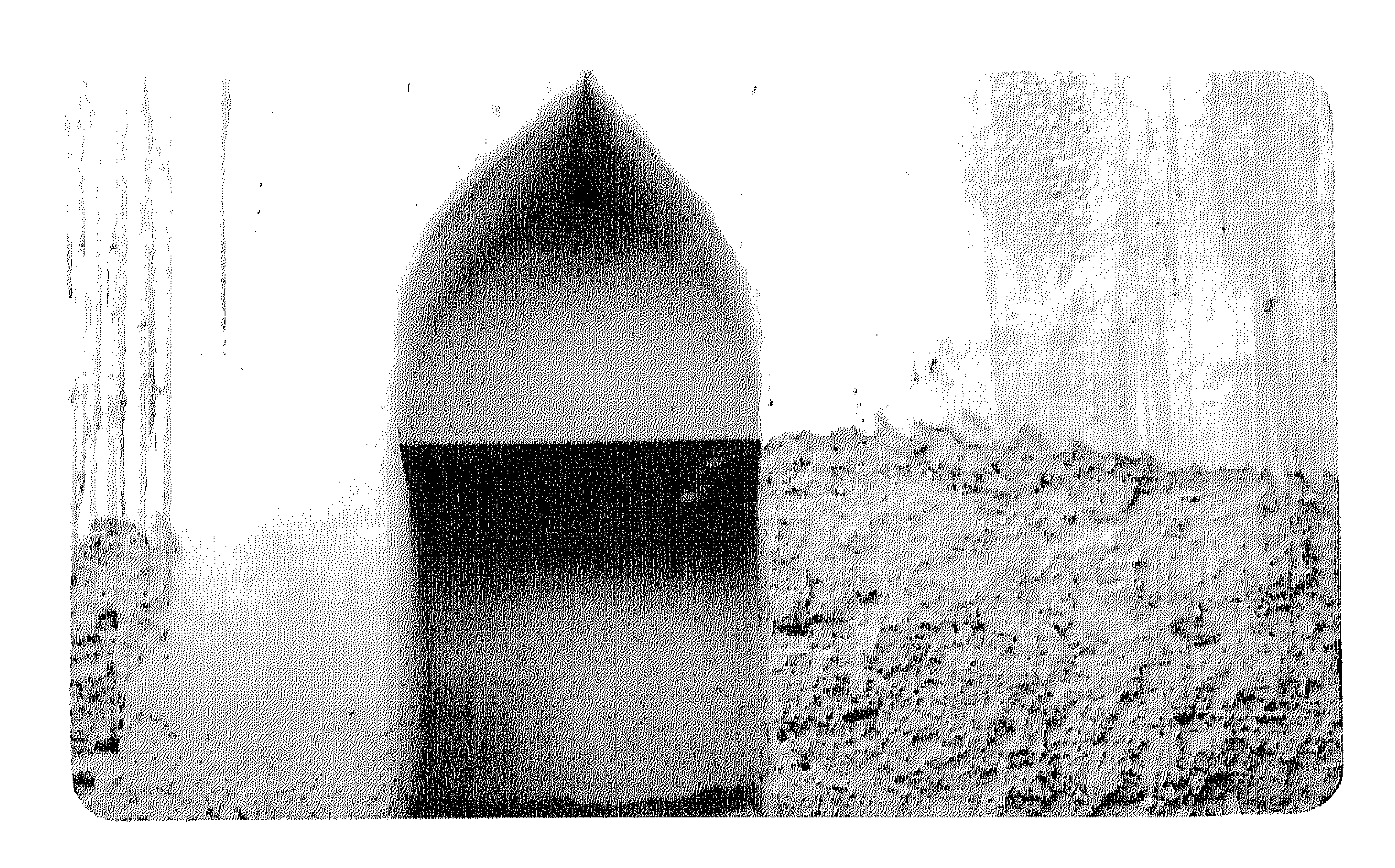
شكل رقم (٦)



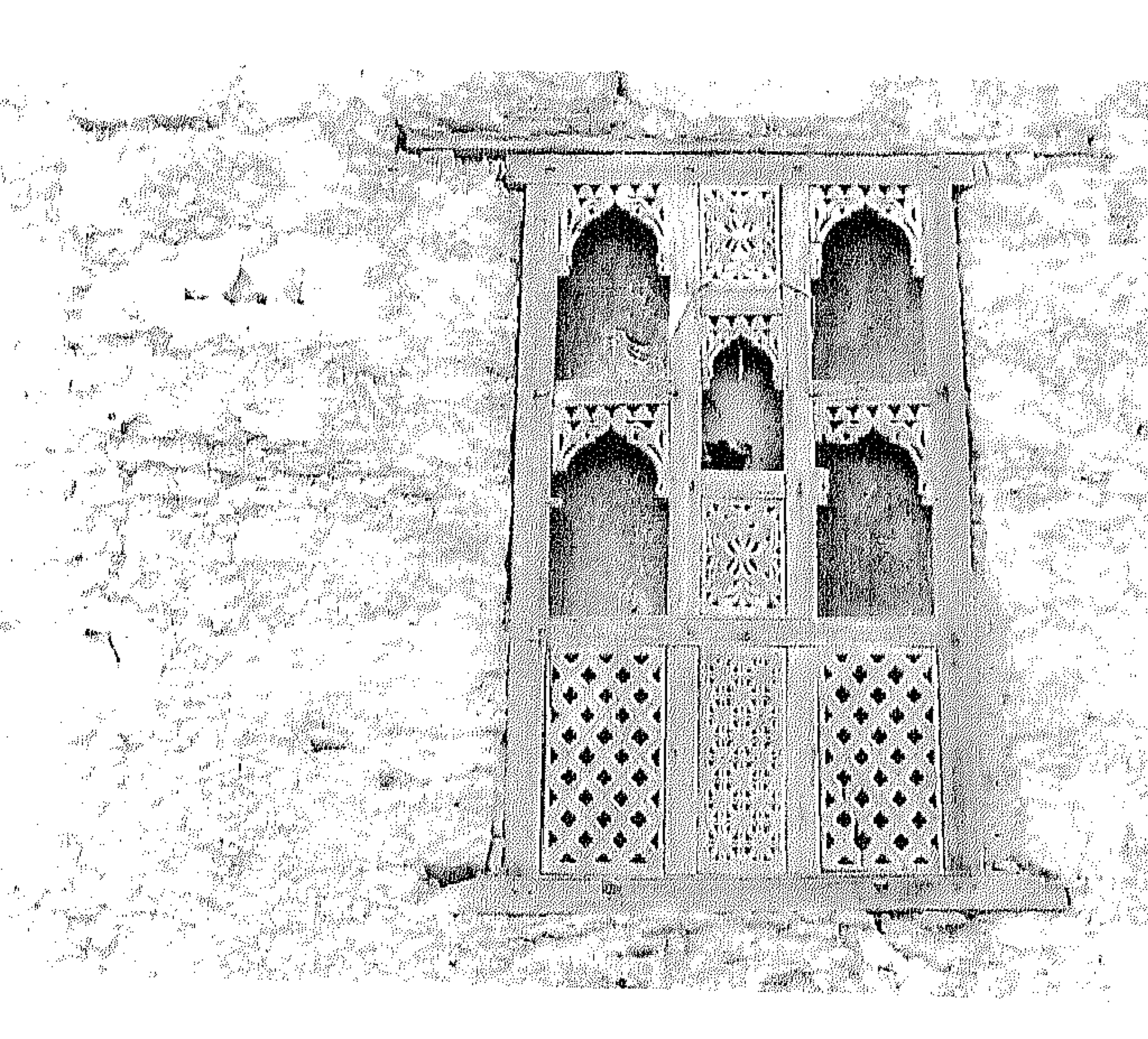
شـكل رقم (٧)



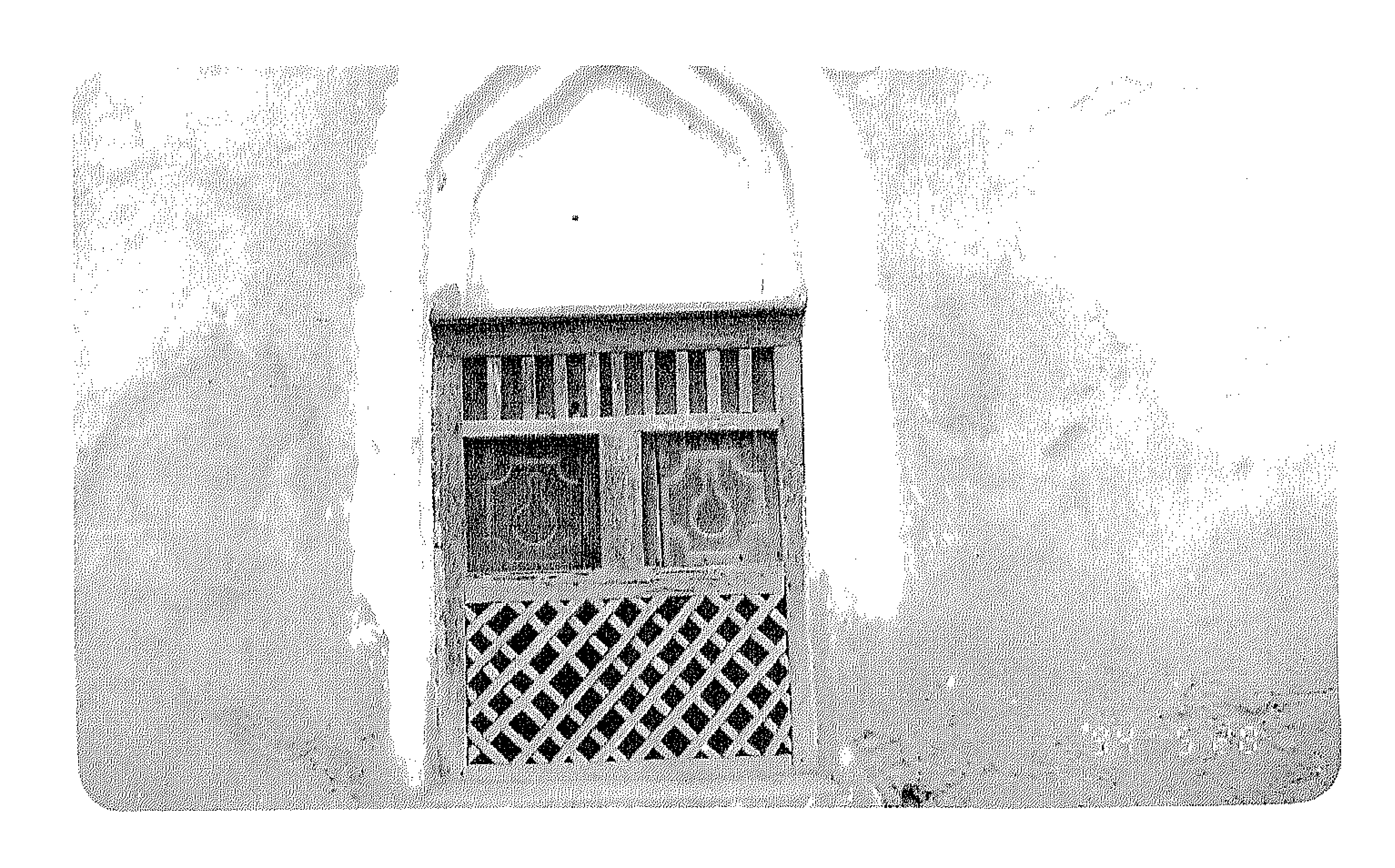
شـكل رقم (٨)



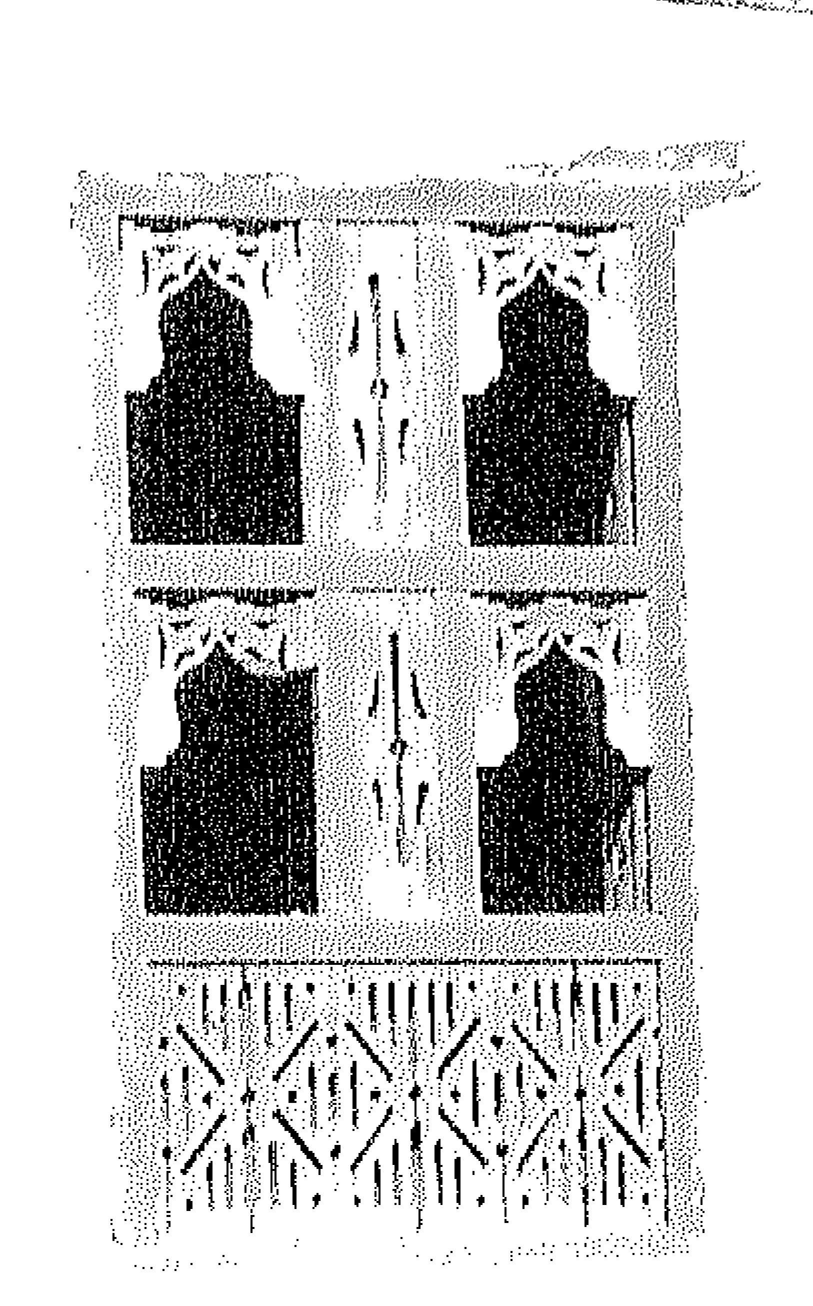
شـكل رقم (٩)



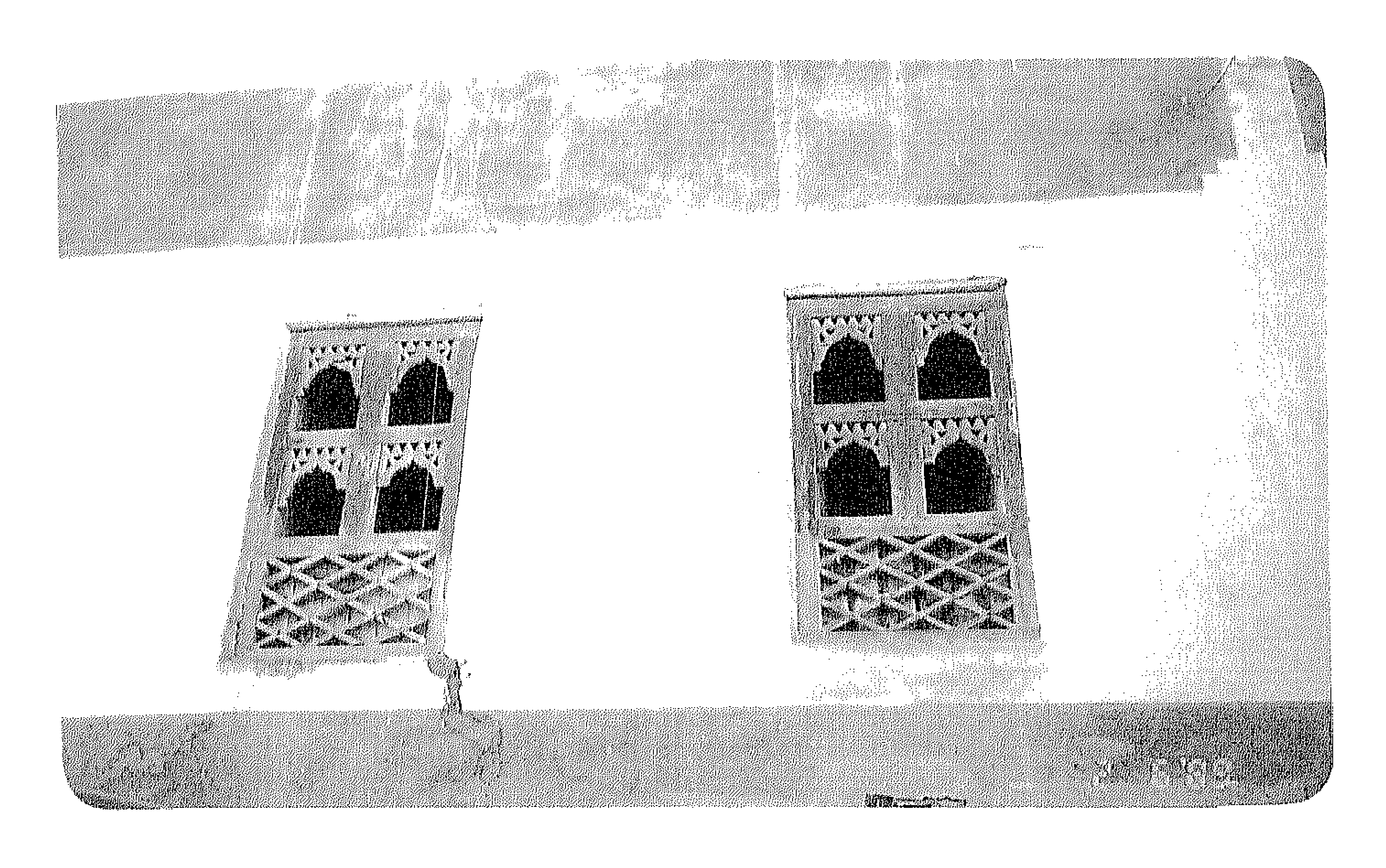
شكل رقم (١/١٠)



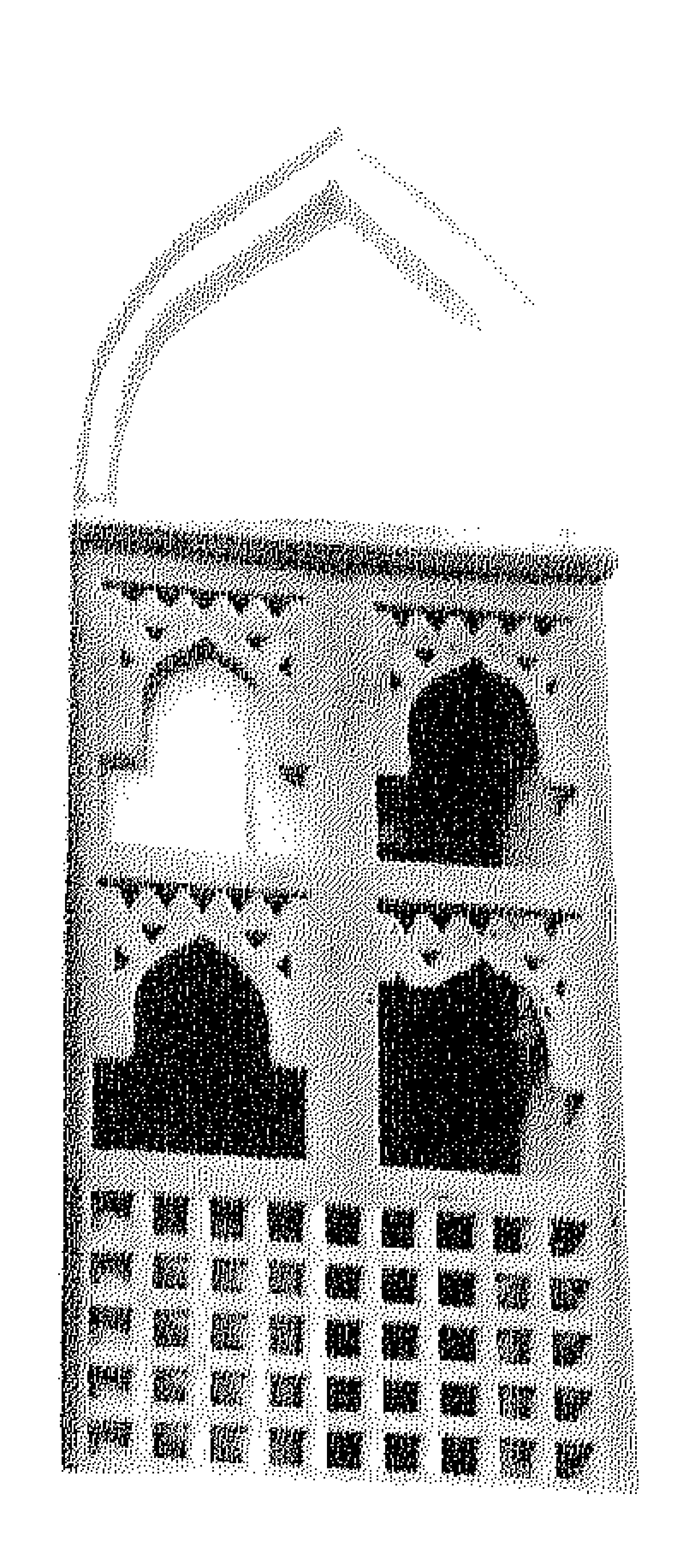
شكل رقم (٢/١٠)



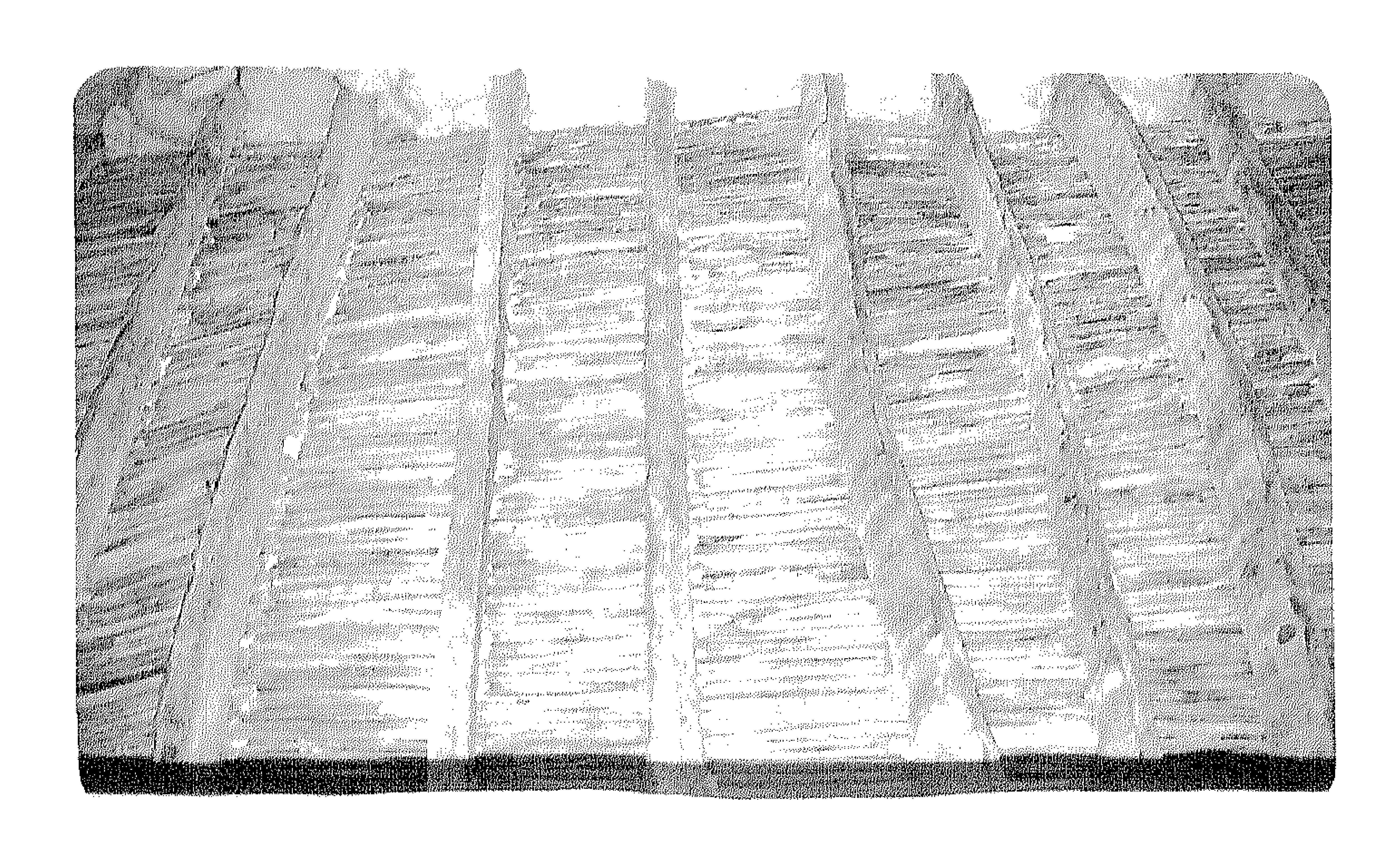
شكل رقم (٣/١٠)



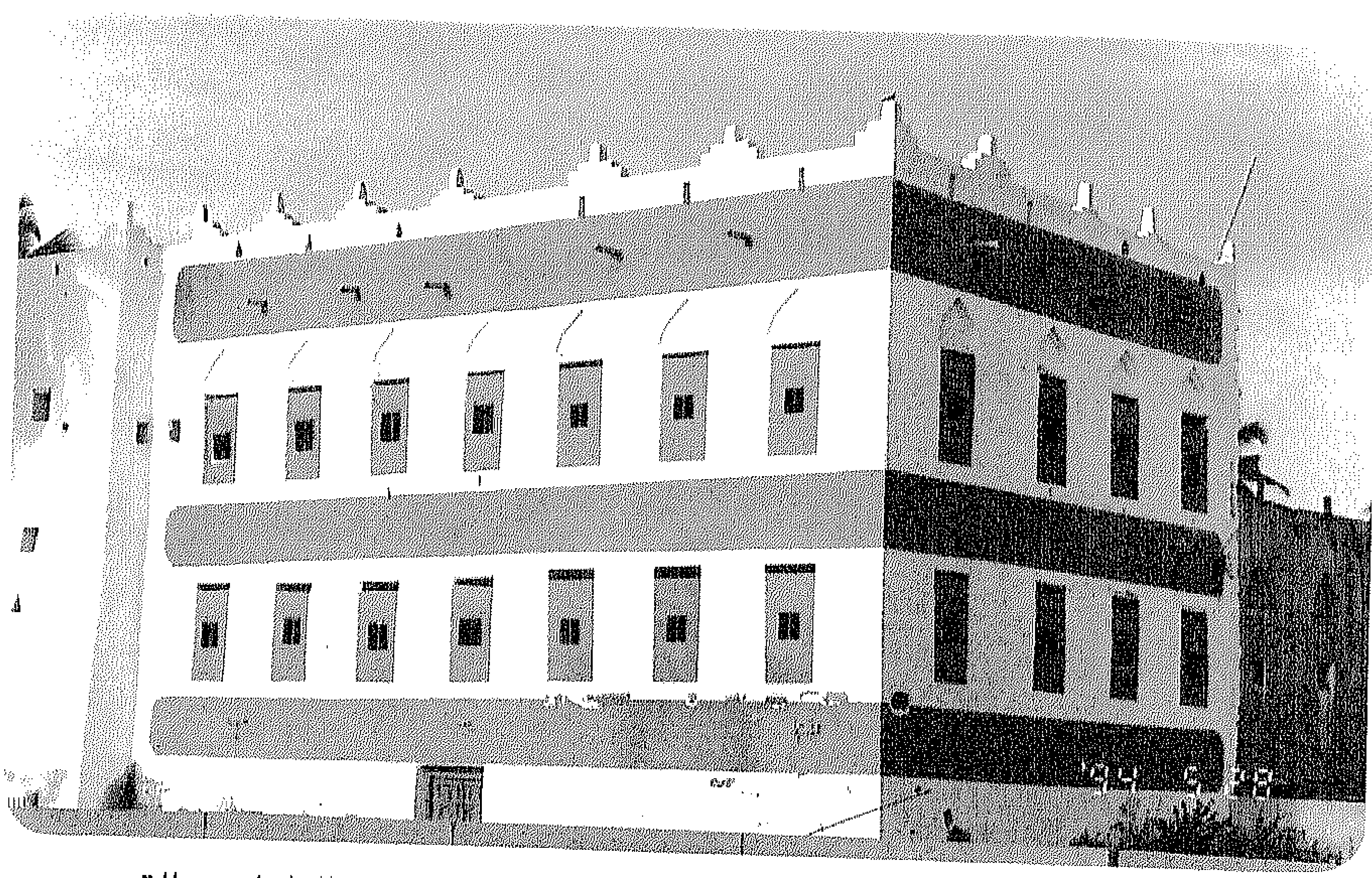
شكل رقم (٤/١٠)



شكل رقم (١٠/٥)



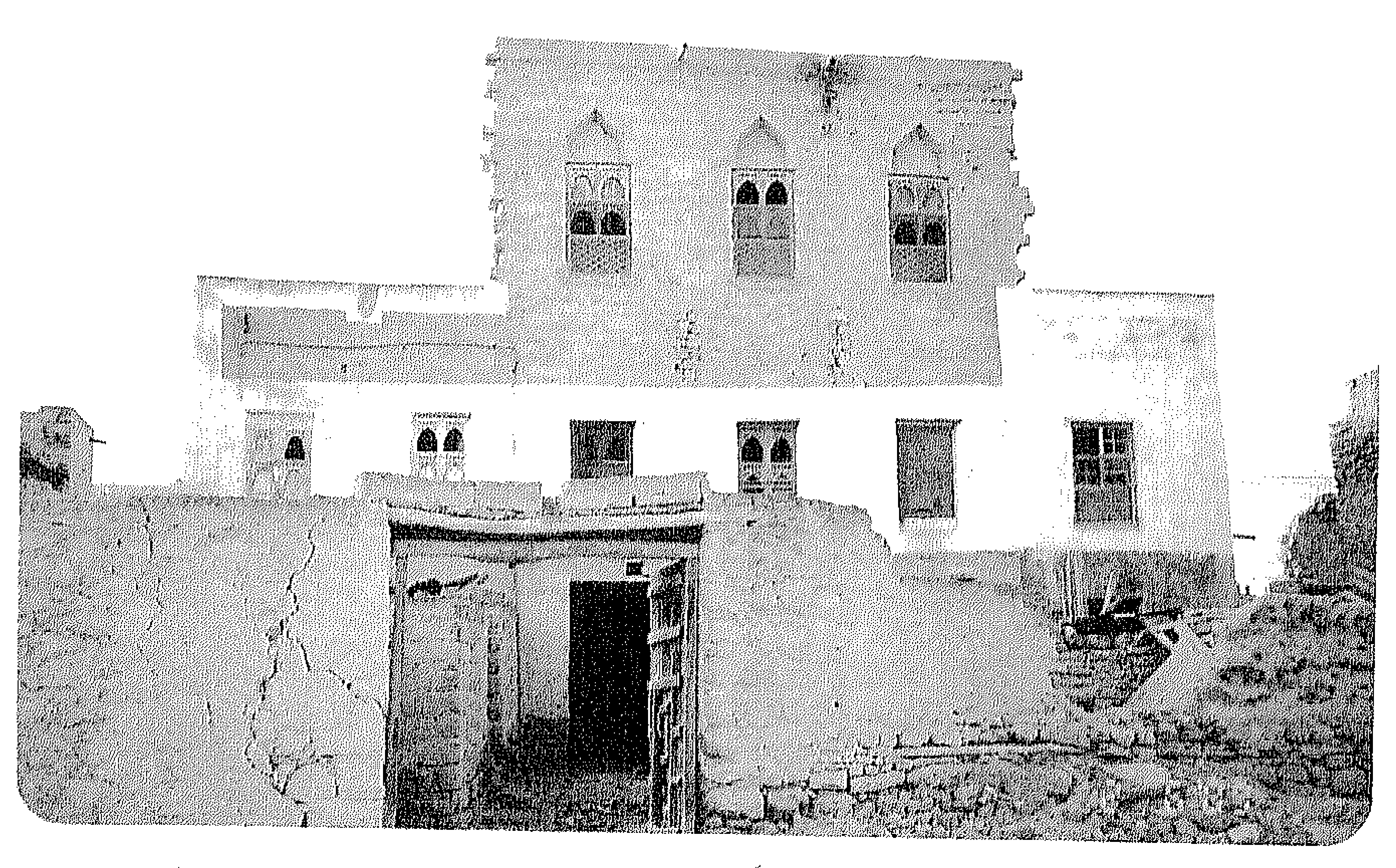
شكل رقم (١١)



جماليات التناسق اللونى تبدو في طلاء واجهة هذا البيت الظفارى القديم.



الحفاظ على البيوت القديمة ملمح هام من ملامح الاهتمام بتراثنا.



يد الانقاذ يجب أن تمتد عاجلاً لحماية البيوت القديمة من الإندثار.

الفهـرس

رقـم الإيـداع

٩٤/٢

المطابع العالمية - روي - سلطنة عمان

المطابع العالمية - روي - سلطنة عمان

